وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[1] وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم، وإن كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوا، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم»[2] أي ينسحبوا من مواجهة العدو ويلتحقوا بباقي المسلمين، وهو ليس كالفرار، فالفرار هروب إلى أي جهة، أما التحيز فانسحاب منظم هدفه الإبقاء على قوة الجيش المسلم عند تعذر المقاومة.

جيش المسلمين الآن معذور في التحوز والانسحاب، نظراً لأن عدد الروم يعادل أضعاف أضعاف عدد المسلمين وعدتهم، وهو ما ينبغي ملاحظته عند التحدث عن الجهاد، فالجهاد ليس مجرد حماس وشجاعة فقط، فعندما تأمل أحد الصحابة جيش الروم.. وجد أن الروم لم يكونوا وحدهم.. معهم أبناء جلدتهم ودياناتهم الذين لا يتخلون عنهم.. معهم جيوبهم المتغلغلة في أراضي المسلمين في كل زمان ومكان.

## نصارى العرب يقاتلون مع الروم

ظروف قاسية للغاية، فالحرب الآن ضد النصارى العرب والروم، ويبدو أن المعارك تقفز نوعياً إلى مرحلة المجابهة مع الدول الكبرى، التي غالباً ما يصيبها الهلع والغضب من انتشار أفكار تخالف أفكارها، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بالدين.

كان الصحابة يأخذون قسطاً من الراحة، ويتناولون شيئاً من الطعام. أحد المجاهدين تبرع بذبح ناقته ليطعم بعض أفراد الجيش، وكان ضمن هؤلاء رجل من أهل اليمن لا يملك إلا سيفه وإيمانه.. قدم من بلاده للمساهمة في منازلة الروم.

نهض اليمني إلى صاحب الناقة ولما وقف أمامه تقدم بطلب غريب، وكان بالقرب منه عوف بن مالك الذي يحدثنا عن قصة:

---

(١) الأنفال ٦٦.

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبري في تفسيره ١٠-٣٩: حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس وهذا السند على شرط البخاري في أكثر من خمسة مواضع وابن أبي نجيح ثقة من رجال الشيخين.

## صنيع اليمني

يقــول عوف: «كنــت فيمن خرج مع زيد بن حارثة رضي اللــه عنه في بعث مؤتة، فرافقني مددي من أهل اليمن ليس معه إلا ســيفه، فنحر رجل من الجيش جزوراً له، فاســتوهبه المددي من جلده، فوهب له فبسطه في الشــمس على أطرافه، فلما جف اتخذه كهيئة الدرقة وجعل له مقبضاً»[1] أي جعله مثل الترس.

بعد الاستراحة قرر زيد رضي الله عنه حمل الراية وبدء القتال، فكان له ما أراد.. قاتل زيد ومن معه قتالاً أشبه بالأساطير، وبدأ فارس اليمن بتنفيذ مخططه.

يقــول عوف: «مضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشــقر، عليه ســرج مذهب، وسلاح مذهب، فجعل الرومي يغري بالمســلمين، فقعد له المددي خلف صخرة، فمر به الرومي فعرقب فرسه فخر، وعلاه فقتله وحاز فرسه وسلاحه»[2]

لكن مهما بلغت شجاعة هؤلاء الأبطال، فهم كقطرة وسط بحر من الروم والنصارى العرب.. قاتل زيد، وقاتل بحماس من يريد اقتحام باب الجنة، لكن حبيب النبي وأمير جيشــه حوصر بالرماح والسيوف حتى خر شــهيداً على أرض المعركة، فالتقط الراية جعفر بن أبي طالب ليقوم بما يشبه المعجزات، وكأنه يسابق زيداً ويزاحمه على دخول باب الجنة.

## جعفر

هذا المبحر في المعاناة.. المليء بالأســرار.. الذي يخبئ الكثير للإســلام.. يتفجر علــى أرض مؤتــة، وكأنه يريد تعويــض غيابه المرير عن بدر وأحــد والخندق، وباقي المعارك المجيدة، وكأنه يبحث عن شــهادة كشهادة عمه حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش، وكأن فرسه تعيقه عن اقتحام الجنة..

قفز جعفر من على ظهرها بعد ســقوط زيد وقــام بعقرها، فهو لن يحتاجها بعد اليوم، فليس أمامه ســوى جحافل الروم والنصارى العــرب والموت، وهو لا يهاب هذه

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٣٧٤ مختصراً ورواه وأحمد ٦-٢٧ بالسند نفسه.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٣٧٤ مختصراً ورواه وأحمد ٦-٢٧ بالسند نفسه.

المصطلحات، وليس في ذاكرته حروف للهرب.. عقر فرسه الشقراء وامتطى صهوة الشعر والحماس.. كان موتا يصرخ بالموت.. وشعرا يملأ الأجواء لهيباً..

يقول أحد الصحابة: «وهو أحد بني مرة بن عوف وكان في الغزاة (غزاة مؤتة) قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارداً شرابها
والروم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

عليَّ إذا لاقيتها ضرابها»[1]

كان يقتحم الشهادة بحرقة خلال دروب لا يعرفها سواه، وعلى طريقته الخاصة والخارقة نحت تفاصيل تلك الشهادة.. لقد عقر الفرس الشقراء، ثم استقبل الروم حاملاً راية رسول الله ﷺ بيده اليمنى.. متلقياً الطعنات والضربات بالرماح والسيوف حتى قطعت يده اليمنى، وانفجر شلال جعفر يروي عطش مؤتة وشوقها للفرسان، فأخذ الراية بيده اليسرى، فهجم عليه أحدهم يريد إسقاط تلك الراية وتمكن من قطع يد جعفر اليسرى، فواصلَ احتفاءه بالطعنات وسط التكبير والدماء حتى خر شهيداً مميزاً ومدهشاً ومذهلاً.. خر جعفر ولم تخر راية رسول الله ﷺ.

وأسدل الستار على حياة هذا الشهيد القصيرة، ليحلق بعدها نحو أحلامه والجنة، ثم أخذ الراية الأمير الثالث عبد الله بن رواحة الذي شاهد تلك المناظر المروعة لأصحابه، وتلك الجموع التي لا يمكن مجابهتها إلا بالموت.

أحس عبد الله بن رواحة بشيء من التردد، لكن الشعر قام بتذكيره، فالشعر في الإسلام يعيد بناء الحياة وضخ الطاقات فيها..

## ابن رواحة والشعر والجنة

كان تردده لسان حال المعركة الشرسة، والأطراف المتطايرة، والدماء التي تلون أرض مؤتة، لكن ابن رواحة يقذف مرة أخرى بالخوف وبشعر كالحتف.

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق - ابن هشام ٥-٢٨ حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال حدثني أبي الذي أرضعني وهو أحد بني.. يحيى ثقة ووالده تابعي ثقة كان خليفة والده. التقريب ١-٣٩٢.

كان الشعر على أرض مؤتة صهوة من الأهوال.. كان الشعر وقوداً يؤجج أرض مؤتة التي تحترق بأنفاس المحاربين وتكبيرهم وصياحهم وأنينهم.

يواصل ذلك الصحابي وصفه لما رآه من أمرائه الأشاوس فيقول: «لما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنه ... مالي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضاً:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت
هل أنت إلا نطفة في شنه ... قد طال ما قد كنت مطمئنة

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً»[1]

أخذ ابن رواحة الراية والإمارة ووضع قدميه على أبواب الجنة، وفجأة حدث له شيء يفصح عن تمتع المجاهدين بالسياحة عبر الموت.. ابن رواحة يتناول الطعام وكأن القتال والموت والحياة لدى هؤلاء العظماء سياحة جميلة.

يقول أحد الصحابة: «ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت. فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا .!! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل»[2] واستشهد مع صاحبيه وفعل فعلهما.

اختفى الأمراء الثلاثة، لكن راية الإسلام ما زالت ترفرف، فقد اختطفتها يد أحد الصحابة الذين يحبون الموت في سبيل الله لكنه لا يحب الإمارة «أخذ الراية ثابت بن أقرم، أخو بني العجلان فقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم. قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد.

---

(١) سنده صحيح وهو سند الحديث السابق انظر ابن هشام ٥-٢٨ وتاريخ الطبري ٢-١٥١.
(٢) سنده صحيح وهو سند الحديث السابق انظر ابن هشام ٥-٢٨ وتاريخ الطبري ٢-١٥١.

## أين خالد بن الوليد

في وسط هذه المعمعة كان ابن الوليد يفتك بالروم فرداً فرداً، ويفتك أيضاً بالسيوف.. سيفاً سيفاً.

يقول رضي الله عنه وقد أفنى مجموعة من السيوف على رقاب النصارى العرب وأسيادهم: «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»[1]

ثم توجه لأخذ الراية بعد الشهيد ابن رواحة. «فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس»[2] ووقى الله بحسن تصرف خالد جيش الإسلام من انتكاسة، لأن استمرار الحرب معناها الإبادة لا محالة، فقوة الروم ونصارى العرب لا يمكن هزيمتها بمثل هذا الجيش الصغير الذي يشرب أفراده الموت كما يشربون الماء.

لم ينتصروا على جيش الروم، لكنهم أيضاً لم يهزموا، وقد قنع كل فريق بما حدث له وعليه، لكن بعض المسلمين تمكنوا من تحقيق أهدافهم الشخصية التي من أجلها خرجوا، أما بقية الجيش فهم يشعرون بالهزيمة، لأنهم لم يكونوا ضمن موكب أمرائهم الذين تعطروا بجراحهم لدخول الجنة. فقد مال بهم أميرهم الجديد إلى مكان آمن.

## خالد بن الوليد واستراحة المحارب

خالد بن الوليد الذي ولد في عالم الإسلام أميراً.. أخذ جيشه بعيداً، وقد أسعد الروم تصرفه ذلك، فلم يقوموا بملاحقته، لأنهم ليسوا على استعداد لتقديم المزيد من الضحايا على يد جيش لا تخيفه الأرقام ولا الأجسام، ولو كان النصارى في حالة معنوية مرتفعة لطاردوهم حتى الإبادة، لكن ذلك لم يحدث فهم يحبون الحياة كما يحب المسلمون الجنة.. في هذه الأثناء كانت المدينة تلهج بالدعاء بالنصر وعودة المحاربين ظافرين، لكن الوحي سبق الجيش بالأخبار والبشائر والأحزان.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ٤-٥٥٥١.

(٢) سنده صحيح وهو سند الحديث السابق .ابن هشام ٥-٢٨ ومعنى خاشى أي تاركهم.

يقول أحد الصحابة « إن رسول الله ﷺ نعى زيداً وجعفراً قبل أن يجيء خبرهم، نعاهم وعيناه تذرفان»[1] كان النعي مصحوباً بالحزن والدموع والمجد ولقب خالد لخالد ابن الوليد.

## خالد بن الوليد سيف من سيوف الله

«نعى ﷺ زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها بن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان[2]، حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[3]

وهذا الفتح يعني ضمن ما يعني قراراً سليماً، أو نصراً على تلك الأرض المميتة.

انتشر الخبر فانتشر الحزن والبكاء واليتم.

أحد أيتام مؤتة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.. يتحدث عن مرارة ذلك اليوم، فيقول: «بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم زيد بن حارثة، فإن قتل واستشهد فأميركم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل واستشهد فأميركم عبد الله بن رواحة.

فانطلقوا فلقوا العدو، فأخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عز وجل عليه.

فأتى خبرهم النبي ﷺ، فخرج فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن إخوانكم لقوا العدو فأخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه،

---

(١) حديث صحيح رواه النسائي في الكبرى ١-٦١٥ والطبراني ٢-١٠٥ والبخاري ويأتي لفظ البخاري بعده وطريق النسائي هو طريق البخاري.

(٢) الذي ذرفت عيناه هو النبي ﷺ.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري ٣-١٣٧٢.

ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم»[1] أي ترك زيارتهم ثلاثة أيام، لكنه حرض مشاعر المدينة على العناية والطواف بآلامهم، فقال لمن حوله: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاءهم ما يشغلهم»[2] ثم توجه إلى بيته مثقلاً بالحزن الشديد على أحبابه، وكانت عائشة حزينة.. تطل على ذلك المشهد الحزين، لكن حزنها لم يمنعها من الغضب على تصرف أحد الصحابة الذي لم يراع حالة النبي ﷺ.

## ما الذي أغضب عائشة في ذلك اليوم الحزين

وبماذا همهمت في نفسها..؟

تقول رضي الله عنها: «لما جاء النبي ﷺ قَتْلُ ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن، وأنا أنظر من صائر الباب (شق الباب)، فأتاه رجل فقال: إن نساء جعفر (وذكر بكاءهن) فأمره أن ينهاهن، فذهب ثم أتاه الثانية فقال: قد نهيتهن. وذكر أنهن لم يطعنه. فقال: انْهَهُنَّ. فأتاه الثالثة قال: والله غلبننا يا رسول الله. فزعمت أنه قال: فاحثُ في أفواههن التراب

فقلت: أرغم الله أنفك، لم تفعل ما أمرك رسول الله ﷺ ولم تترك رسول الله ﷺ من العناء»[3] «ثم أتاهم فقال: لا تبكوا عليه بعد اليوم. ثم قال: ادعوا بني أخي، فجيء بنا كأنا أفرخ فقال: ادعوا لي الحلاق فأمره فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عون فشبيه خلقي وخلقي، ثم أخذ بيدي فشالها، فقال: اللهم أخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه، اللهم أخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه، اللهم أخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه.

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد١-٢٠٤ ومن طريقه الطبراني ٢-١٠٥ حدثنا وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر. محمد والحسن الهاشمي ثقتان - التقريب ٤٩٠ و١٦١ ووهب ووالده ثقتان ورواية والده عن قتادة ضعيفة وهذه ليست منها التقريب ١٣٨ و٥٨٥.

(٢) سنده ضعيف رواه الحميدي ١-٢٤٧ وغيره عن سفيان ثنا جعفر بن خالد المخزومي أخبرني أبي أنه سمع عبد الله بن جعفر. وظاهر السند الصحة نظراً لقول الحافظ في التقريب عن خالد بن ساره: صدوق والأصح غير ذلك انظرصحيح الموسوعة لكن له ما يشهد له.

(٣) صحيح البخاري ١-٤٣٧.

قالها ثلاث مرات. فجاءت أمنا فذكرت يتمنا؟ فقال رسول الله ﷺ: العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟»[1] كلمات كالبرد على قلوب كالهجير.

لم تكن الحال بأحسن في بيت زيد بن حارثة، حيث زوجته أم أيمن ويتيمه أسامة، الـذي ملك قلـب النبي ﷺ وعيونه، والذي قال فيه وفي والـده الفقيد ذات يوم، وهو يتحـدث عـن انتقاص البعض لـ «إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان لخليقاً لها، وأيم الله إن كان لأحب الناس إلي، وأيم الله إن هذا لها لخليق يريد أسامة بن زيد، وأيم الله إن كان لأحبهم إلي من بعده، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم»[2]

أوصى النبي ﷺ صحابته بحبيبه الأسمر، ونظر إليه فلم يملك عينيه.. فقد ذرفتا رحمة به وحزناً على أبيه.. كان أسامة حزناً يتنقل بين عينيه ودموعه وداخل قلبه.. كان منظره يدمي القلب ويوقظ الجروح. فقد « قام أسامة بن زيد بن يدي النبي ﷺ بعد قتل أبيه، فدمعت عينا النبي ﷺ، ثم جاء من الغد فقام مقامه ذلك، فقال له رسول الله ﷺ ألاقي منك اليوم ما لقيت منك بالأمس»[3]

أما بيت عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فقد شهد حدثاً لعبد الله قبل الرحيل، مما هون من انفعال أخته وخفف فجيعتها، فقبل السفر إلى مؤتة «أغمي على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي: واجبلاه.. واكذا.. واكذا.. تعدد عليه.

فقال حين أفاق: ما قلت شـيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك؟»[4] فكيف هي حالها الآن، وقد بلغها أن عبد الله لن يعود بعد اليوم إلى المدينة..؟

---

(١) هو باقي حديث عبد الله بن جعفر السابق.

(٢) صحيح مسلم ٤ - ١٨٨٤.

(٣) سنده مرسل وصحيح رواه أحمد في الفضائل ٢-٨٣٦ وغيره عن عن أئمة ثقات أثبات، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، وإسماعيل ثقة ثبت التقريب ١٠٧، وشيخه ثقة من الثانية مخضرم وله رؤية وشـيوخه كلهم من الصحابة وهو أحد من روى عن العشـرة. التقريب ٤٥٦، وقد أخطأ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ - ٤٤٧ عندما قال

رواه البزار عن شـيخه عمر بن إسـماعيل بن مجالد وهو كذاب، فالبزار رواه عن البحر ٧ - ٩٥ عن عبد الله بن محمد المنقري: أخبرنا أبو أسامة ، عن إسماعيل.

(٤) البخاري ٤-١٥٥٥.

يقــول أحــد الصحابة «أغمي على عبــد الله بن رواحة بهــذا، فلما مات لم تبك عليه»[1] بكاء النواح والعويل الذي حدث منها في الســابق، بل بكته بكاء المؤمنة بقضاء الله وقدره، التي تحتسب ما بها من حزن وأسى عند الرؤوف الرحيم بها وبأخيها.

هــذه هي أجــواء المدينة، وتلك هي همومها، أما علــى أرض مؤتة فاليتم له طعم آخر.. الأيتام هناك لم يعودوا صغاراً، وعندما يكون اليتيم رجلاً فصفات الفقيد أعظم من أن تحيط بها جدران المنازل والقلوب.

على أرض مؤتة شعر بعض المساكين بيتم مرير.. أبو هريرة أحدهم، ولعله أكثر من عانى ووصف وباح فقال: «ما احتذى النعال، ولا انتعل ولا ركب المطايا، ولا لبس الكور بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر»[2]

قال أبو هريرة ذلك مأخوذاً بسلوك جعفر وكرمه تجاهه، وتجاه غيره من المساكين، وهو سلوك يرتقى إلى مستوى الإسلام.

أبو هريرة المســكين، الذي نحــت الجوع على وجهه لغــة لا يقرأها إلا النبي ﷺ وجعفــر.. أبو هريرة يبكي على جعفر الممدد أمامه.. يبكي على الجود المســجى على أرض مؤتة.. يبكي على يديه اللتين طالما قدمتا له وأعطتاه وواســتاه، وكأنهما انفصلتا عن جســده لتقــديم المزيد من العطاء.. يتحدث أبو هريرة عــن تلك اللغة التي يعرف تفاصيلها حبيباه محمد وجعفر فيقول: «لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رســول الله ﷺ إلى حجرة عائشــة مغشياً علي، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون، وما بي من جنون ما بي إلا الجوع»[3]

ويقــول رضي الله عنه: «آلله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشــد الحجر على بطني من الجوع، ولقــد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فســألته عن آية من كتاب الله، ما ســألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل. ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل.

---

(١) البخاري ٤-١٥٥٥.

(٢) سنده صحيح رواه ابن سعد ٤-٤١ وغيره من طريق خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي هريرة وخالد تابعي صغير ثقة وعكرمة إمام ثقة وخالد عن عكرمة على شرط البخاري.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري ٦-٢٦٧٠.

ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: يا أبا هر.

قلت: لبيك يا رسول الله. قال: الْحقْ.

ومضى فتبعته، فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبناً في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة. قال: أبا هر. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي (وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال، ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها)

فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة..؟!! كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم[1]، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد.

فأتيتهم، فدعوتهم، فأقبلوا، فاستأذنوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت. قال ﷺ: يا أبا هر. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: خذ فأعطهم.

فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل، فيشرب حتى يروي، ثم يرد علي القدح، فيشرب حتى يروي، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر لي فتبسم، فقال: أبا هر. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: بقيت أنا وأنت. قلت: صدقت يا رسول الله. قال: اقعد فاشرب.

فقعدت فشربت. فقال: اشرب. فشربت. فما زال يقول اشرب، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً.

قال: فأرني. فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة»[2]

أبو بكر الذي تصدق بكل ماله على المساكين، وعمر الذي تصدق بنصف ماله على أمثال أبي هريرة، لم يقرءا ما خلف سؤال أبي هريرة من أنين، لكن النبي ﷺ قرأه، أما جعفر فللحديث عنه عند أبي هريرة مذاق مميز..

---

(١) أي إذا جاء أهل الصفة سأسقيهم وسيشربون ولن يبقى لي شيء.

(٢) صحيح البخاري ٥-٢٣٧٠.

إنه يدافع عن نفسه وعن كثرة رواياته لحديث النبي ﷺ، فيحمله الحديث إلى بيت جعفر حيث تتدفق الرحمة والكرم فيقول: «إن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة. وإني كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني، حين لا آكل الخمير ولا ألبس الحبير، ولا يخدمني فلان ولا فلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب.

كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شئ، فنشقها فنلعق ما فيها»[1]

جعفر القادم من الغربة والفقر والحبشة ينجز في عام واحد فقط أضعاف ما ينجزه البعض في أعمارهم الطويلة والعريضة.. الإنسان موقف، وجعفر أكثر من موقف.. هاهو الشاب الصغير عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقلب جسد جعفر الطاهر بعينيه، ويعدد ويحدد تلك الطعنات اللذيذة النازفة، فيدهش لكثرتها، ويدهش لمواقعها، فليس فيها على كثرتها طعنة أو رمية من الخلف.

يقول ابن عمر «أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دبره، يعني في ظهره»[2] لأنه ليس بحاجة إلى الالتفات إلى الدنيا القابعة خلفه، فقد عقر فرسه وعقر الدنيا معها.. هو بحاجة شديدة إلى هذه الجنة التي يعشقها، ويحاول شق جموع الروم المحتشدة كي يرتمي بين أحضانها، وقد دخل الجنة بطريقة غير مسبوقة، فقد شاهده النبي ﷺ في منامه فقال «رأيت جعفراً ملكاً ذا جناحين»[3] ولما عاد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى المدينة «كان إذا سلم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين»[4]

لكن قبل عودة عبد الله بن عمر ومن معه.. حدث خلاف حول مسألة مادية هي: أحقية الفارس بمتاع ضحيته من الأعداء.. كان هناك خلاف:

---

(١) صحيح البخاري ٣-١٣٥٩.

(٢) صحيح البخاري ٤-١٥٥٣.

(٣) هذا الجزء من الحديث حسن وتخريجه طويل لذلك راجعه في موسوعة السيرة وهو عند الطبراني وابن سعد والحاكم وغيرهم.

(٤) صحيح البخاري ٣-١٣٦٠.

فبينما يطالب اليمني بكل سلب الفارس الرومي الذي قتله.. من سرجه المذهب، وسيفه إلى فرسه الشقراء. يرى ابن الوليد (قائد المعركة الجديد) غير ذلك، فتدخل الصحابي المجاهد عوف بن مالك لحل الخلاف، فلم يغير من الأمر شيئاً، فكانت هذه القصة التي يرويها عوف نفسه، وكان طرفاً فيها فيقول: «مضينا حتى لقينا الروم، ومعهم من معهم من نصارى العرب، فقاتلونا قتالاً شديداً، ومعهم رومي على فرس له أشقر، عليه سيف مذهب وسلاحه مذهب، فيه الجوهر، وسرجه مذهب، فجعل يغري بالناس، فتلطف المددي فجلس له جانب صخرة، فلما مر به ضرب عرقوبي فرسه، فقعد على رجليه، وخر عنه الرومي، وعلاه المددي بالسيف حتى قتله، وأخذ سلبه، فأتى به خالد بن الوليد، فلما فتح الله علينا أعطاه خالد بن الوليد السلب، وأمسك منه.

فقلت يا خالد أما علمت أن النبي ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى. فقلت: فلم لم تعطه السلب كله؟ قال: استكثرته. قلت: لتردنه إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ. فأبى أن يرد عليه.

قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ، فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد، فقال رسول الله ﷺ: يا خالد، ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله، استكثرته. فقال رسول الله: ﷺ يا خالد، أعطه السلب كله.

فولى خالد ليفعل. فقلت: كيف رأيت يا خالد، ألم أف لك بما قلت لك؟ قال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ فأخبرته.

قال: يا خالد، لا تعطه شيئاً، هل أنتم تاركوا لي أمرائي، لكم صفوته وعليهم كدره؟ قالها مرتين أو ثلاثاً»[1]

لأن من حق الفرد مهما كان أن يشتكي أميره عند إمامه، وأن يحتج ويبين وجهة نظره، وأن ينكر الظلم ويحاول إزالته، وهذا ما فعله عوف بن مالك رضي الله عنه، لأن الأمير ليس معصوماً ولا مقدساً ولا إطلاق في صلاحياته، لكن ليس من حق المأمور التشفي والتحدي، ووضع الغرض الشخصي ضمن أهداف تلك الأعمال النبيلة الراقية،

(١) حديث صحيح مر معنا تخريجه وهو عند مسلم مختصر واللفظ لأبي عوانة ١-٤٢٤٠.

وهو ما أفسد جهود عوف رضي الله عنه، لأن الأمور اتخذت منحى آخر يرفضه الإسلام.. اتخذت منحى الانتصار للذات في عمل يهم الأمة كلها ويمس مصلحتها.

تعلم الجميع من النبي ﷺ حريتهم وحدودهم، وسعدوا ببشاشة النبي ﷺ بوجوههم، وبعد أيام رأى النبي ﷺ رؤيا تحمل الفزع والسرور معاً، ورأى فيها قادة مؤتة، فقال لأصحابه: «بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتياني جبلاً وعراً فقالا لي: اصعد.

فقلت: إني لا أطيق. فقالا: إنا سنسهله لك.

فصعدت حتى كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات: قالوا: هذا هو عواء أهل النار.

ثم انطلق بي فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً. فقلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم.

ثم انطلقا بي فإذا بقوم أشد شيء انتفاخاً وأنتنه ريحاً، وأسوأه منظراً. فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني.

ثم انطلق فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات. فقلت: ما بال هؤلاء؟ فقال هؤلاء اللواتي يمنعن أولادهن ألبانهن.

ثم انطلق بي فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين. فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذراري المؤمنين.

ثم شرف لي شرف فإذا أنا بثلاثة نفر يشربون من خمر لهم.

قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

ثم شرف لي شرف آخر فإذا أنا بثلاثة نفر. قلت: من هؤلاء؟ قال: إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ينتظرونك»[1]

---

(١) سنده صحيح رواه الحاكم ٢-٢٢٨ واللفظ له وابن حبان ١٦-٥٣٦ والنسائي في الكبرى ٢-٢٤٦ وابن أبي شيبة ٧ - ٣٣١ من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليم بن عامر الكلاعي حدثني أبو أمامة الباهلي سمعت رسول الله ﷺ. عبد الرحمن ثقة من رجال الشيخين. التقريب ٣٥٣ وشيخه ثقة من رجال مسلم التقريب ٢٤٩.

هذه البشـــرى لم تمنع الصحابة من الحزن على أولئك الرجال الأفذاذ و«لما اشتد جـــزع أصحاب رســـول الله ﷺ على مـــن قتل يوم مؤتة، قال رســـول الله ﷺ: ليدركن الدجال قوماً مثلكم، أو خيراً منكم، ليدركن الدجال قوماً مثلكم، أو خيراً منكم، ليدركن الدجال قوماً مثلكم، أو خيراً منكم.. ثلاث مرات، ولن يخزي الله أمة أنا أولها، وعيسى بن مريم آخرها»[1]

فـــي غزوة مؤتة شـــهادة ومجد للأموات، ورضى النبي ﷺ عـــن أداء الأحياء، أما خالد بن الوليد فتميز بحيازته على شـــرف القيادة واللقب، لكن ماذا عن رفيق خالد.. ماذا عن عمرو بن العاص؟

لا بد أنه يتحرق لخدمة الإسلام كما خدمه رفيقه ولم يكن ﷺ بعيداً عن مشاعر عمرو الداهية، ولا عن توظيف دهائه في نشر دين الله.. استدعاه، وعرض عليه قيادة حملة سميت فيما بعد بـ

## غزوة ذات السلاسل

فبعد مؤتة، وذات شتاء قارس.. أُستدعي عمرو بن العاص للمثول بين يدي النبي ﷺ، فمثل وتحدث بنفســـه عن ذلك الحوار مع نبيه فقال: «بعث إلي رســـول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني.

فأتيتـــه وهـــو يتوضأ، فصعَّد فيَّ النظر ثم طأطأ، فقـــال: إني أريد أن أبعثك على جيش، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة. قلت: يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ.

فقـــال: يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالـــح»[2] ونعم الجيش الصالح جيش عمرو هذا.

---

(١) ســـنده صحيح رواه الحاكم ٣-٤٣ حدثنا أبو بكر بن إســـحاق أنبأ محمد بن شاذان الجوهري ثنا زكريا بن عدي ثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن ابن جبير بن نفير عن أبيه. عبد الرحمن تابعي ثقة التقريب ٣٣٨ وصفوان ثقة التقريب ٢٢٧ وكذلك عيسى التقريب ١-١٠٣ وزكريا بن عدي وابن شاذان ثقتان.

(٢) سنده حسن رواه أحمد ٤-١٩٧ والبخاري في الأدب ١-١١٢ وغيرهم من طرق عدة عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه قال سمعت عمرو بن العاص يقول. وعلي تابعي ثقة التقريب ٣٦ وابنه موسى حسن الحديث من رجال مسلم التقريب ١٨٦.

سمع عمرو تلك الكلمات الجميلة، وأطاع قائده وانطلق بجيشه الذي كان ضمنه رجال سبقوا عمراً بالفضل والإسلام.. أمثال أبي بكر وعمر.

يقول أحد الصحابة المشاركين في ذلك الجيش: «رأيت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل، وكأن لحيته لهب العرفج على ناقة له أدماء، أبيض خفيفاً»[1]

إذا كان أبو بكر وعمر، والعظماء أمثالهما تحت قيادة رجل لم يسلم إلا منذ أشهر، فهناك تميز لهذا الرجل في مثل هذا الموقف. فهل ستشير ذات السلاسل إلى الأفق الذي كان ﷺ يرمي بتصرفاته إليه..؟

كانت المدينة ساعتها في حالة طوارئ.. كان المسجد يموج بالمعنويات والحماس، والرايات السوداء والوداع، وبلال كان في حالة تأهب لحماية النبي ﷺ.

أحد الصحابة قدم لتوه إلى المدينة، وتساءل عما يجري داخلها فقال: «قدمت المدينة فدخلت المسجد، فإذا هو غاص بالناس، وإذا رايات سود تخفق، وإذا بلال متقلد السيف بين يدي رسول الله ﷺ، قلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص»[2]

رفرف الصحابة، ورفرفت الرايات خلف عمرو بن العاص منطلقين شرقاً، حتى أتوا على مشارف بلاد طي.. عندها طلب عمرو بن العاص رجلاً عارفاً بالدروب للاستفادة منه في الوصول إلى الهدف، فأخبره الصحابة أنهم لا يعرفون سوى لص محترف وشهير يدعى (رافع الطائي) وهو أعلم الناس بالصحاري والدروب خاصة في هذه المنطقة.

رافع نفسه يروي قصة انضمامه إلى جيش ذات السلاسل فيقول: «بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، وبعث معه في ذلك الجيش أبا بكر

---

(١) سنده صحيح رواه الطبراني في الكبير ١-٥٧ وابن سعد من طريق مسعركدام وهو ثقة ثقة ثبت وشيخه ثقة من رجال الشيخين، وله شاهد في الآحاد والمثاني ١-٨٧ حدثني محمد بن عبد الله بن نمير أن عبدة بن سليمان حدثهم عن إسماعيل عن رجل من بني أسد ورجاله ثقات ابن نمير ثقة حافظ فاضل وشيخه ثقة ثبت التقريب ٣٦٩ و٤٩٠ وشيخه إسماعيل ابن أبي خالد تابعي ثقة ثبت من رجال الشيخين التقريب ١٠٧.

(٢) سنده حسن رواه الترمذي ٥-٣٩٢ وغيره من طرق عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث بن يزيد البكري. وهو حسن من أجل الإمام عاصم وإلا فبقية رجاله ثقات: أبو وائل اسمه شقيق بن سلمة الأسدي وهو ثقة مخضرم - التقريب ١-٣٥٤ وشيخه صحابي واسمه الحارث بن حسان.

وعمر رضي الله عنهما وسراة أصحابه، فانطلقوا حتى نزلوا جبل طي، فقال عمرو: انظروا إلى رجل دليل بالطريق. فقالوا: ما نعلمه إلا رافع بن عمرو، فإنه كان ربيلاً في الجاهلية. فسألت طارقاً ما الربيل قال: اللص الذي يغزو القوم وحده فيسرق»[1]

ويذكر أحد الصحابة بعض أساليب رافع الذكية في البقاء حياً في الصحاري بعد أن ينجح في سرقاته، فيقول إنه: «كان لصاً في الجاهلية، وكان يعمد إلى بيض النعام، فيجعل فيه الماء ويضعه في المفازة»[2] للاستفادة منه بعد فراره حيث يدرك العطش من يلاحقه، بينما يرتوي هو من ذلك البيض المفرغ المليء بالماء المفرق في الصحراء.

وافق رافع على مرافقة جيش عمرو بن العاص، لكن الغريب في الأمر أن أحد الصحابة تمكن من سرقة هذا اللص الطائي الشهير، بل وأسره وإجباره على التعلم منه. لكن قبل أن نعرف ذلك دعونا نسير مع هذا الجيش المؤمن الذي أصابه الجوع ولم يستطع رافع أن يقدم له شيئاً من بيض النعام، لكن عوف بن مالك الأشجعي صاحب المجاهد اليماني، وخصم خالد بن الوليد يتبرع للقيام بشيء قد يخفف من جوع بعض رفاقه.

يقول عوف بن مالك رضي الله عنه: «غزونا وعلينا عمرو بن العاص، وفينا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فأصابتنا مخمصة شديدة فانطلقت ألتمس المعيشة، فألفيت قوماً يريدون ينحرون جزوراً لهم، فقلت: إن شئتم كفيتكم نحرها وعملها وأعطوني منها؟

ففعلت، فأعطوني منها شيئاً، فصنعته ثم أتيت عمر بن الخطاب فسألني: من أين هو؟ فأخبرته. فقال: أسمعك قد تعجلت أجرك وأبى أن يأكله، ثم أتيت أبا عبيد فأخبرته، فقال لي مثلها وأبى أن يأكله، فلما رأيت ذلك تركتها»[3]

---

(١) حديث حسن سيأتي كاملاً بعد قليل وقد رواه الطبراني في الكبير ٥-٢١ ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن المهاجر عن طارق بن شهاب عن رافع بن عمرو الطائي وفيه ابن المهاجر صدوق لين الحفظ من رجال مسلم لكن رواه أوثق منه كما سيمر معنا في تتمة القصة.

(٢) سنده قوي رواه الإمام أحمد ٦-٢٤ والبيهقي في الكبرى ٦-١٢٠ والدلائل ٤-٤٠٤ والروياني ١-٣٩٦ وغيرهم من طرق عن سعيد بن أبي أيوب وابن لهيعة جميعاً عن يزيد ابن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط أخبره عن مالك بن هدم يعني عن عوف بن مالك الأشجعي.. ابن لهيعة تابعه سعيد وهو ثقة ثبت: التقريب ١-٢٩٢ وشيخه يزيد تابعي ثقة فقيه وشيخه ربيعة وكذلك مالك تابعيان وثقهما الإمام توثيقاً لفظياً - ١٥٩ و٤١٩.

(٣) سنده قوي رواه الإمام أحمد ٦-٢٤ والبيهقي في الكبرى ٦-١٢٠ والدلائل ٤-٤٠٤ والروياني ١-٣٩٦ وغيرهم من طرق عن سعيد بن أبي أيوب وابن لهيعة جميعاً عن يزيد ابن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط أخبره عن مالك بن هدم يعني عن عوف بن مالك الأشجعي.. ابن لهيعة تابعه سعيد وهو ثقة ثبت - التقريب ١-٢٩٢ وشيخه يزيد تابعي ثقة فقيه وشيخه ربيعة وكذلك مالك تابعيان وثقهما الإمام توثيقاً لفظياً - ١٥٩ و٤١٩.

لـــم يبرر الجوع لأبـــي بكر وعمر وأبي عبيدة وعوف رضي اللـــه عنهم أن يتناولوا لقمة شـــكوا في إباحة مصدرها، وكأن الصديق يجعـــل من جهالة تحديد أجرة الذبح مبرراً لتركها، وكأنه يقول لعوف: أنه لا بد من تحديد الأجرة قبل القيام بالعمل المتفق عليه، وحكمة الإسلام هي في إقصاء أسباب النزاع بين العامل وصاحب العمل، لاسيما إذا كان الإثنان من المســـلمين، فالاقتصاد الإســـلامي اقتصاد أخلاقي قبل كل شـــيء، وليس كاقتصاد اليهود والمشركين الذين يتسم بالمراباة والاستغلال واللا أخلاقية، لكن المدهش أن أبا بكر الصديق بعد هذا كله يقوم بسلب بعض أشياء رافع الطائي.

## أبو بكر الصديق يتمكن من سرقة رافع

الســـرقة هنا ليســـت على طريقة رافع الطائي، بل على طريقة أبي بكر الصديق، وفي وضح النهار وعلى مرأى من الجميع.

فبين جبال طي، وفي تلك الليالي والأجواء الباردة جداً كان دفء أبي بكر وعطفه يغمران رافعاً، حتى أحس بقلبه ومشاعره بين يدي الصديق.. كان رافع مأخوذاً بصاحب رسول الله ﷺ ورفيق عمره، وكأنه قد هبط عليه من السماء، حيث يقول: «لما كان غزوة ذات السلاسل قلت: اللهم وفق لي رفيقاً صالحاً، فوفق الله عز وجل أبا بكر رضي الله عنه، فكان ينيمني على فراشـــه، ويلبســـني كساء له من أكسية فدك، فإذا أصبح لبسه ولا يلتقـــي طرفه حتى يخله بخلال»[1] أي يجمع طرفي ثوبه بعود أو إبرة، ولذلك صار رافع ينادي أبا بكر باسم مزين بالذكريات.. كان يناديه: (يا ذا الخلال)

ويواصـــل رافـــع حديثه فيقول «رافقـــت أبا بكر في غزوة ذات السلاســـل، وعليه كســـاء له فدكي يخله عليه إذا ركب، ونلبســـه أنا وهو إذا نزلنا»[2] كانت مشـــاعر أبي

---

(١) سنده صحيح رواه الضحاك في الآحاد والمثاني ٤-٤٤٢ حدثنا إبراهيم بن حجاج السامي ثنا عبد الوارث بن ســـعيد نا محمد بن جحادة عن طلحة بن مصرف عن ســـليمان الأحول عن طارق بن شـــهاب عن رافع الطائي. سليمان بن أبي مسلم تابعي ثقة وتلميذه طلحة ثقة قارئ فاضل ومحمد بن جحادة ثقة من رجال الشيخين وعبد الوارث العنبري ثقة ثبت وشيخ الضحاك ثقة وكلهم من رجال التقريب..

(٢) سنده صحيح رواه ابن أبي عاصم في الزهد ١-١٠٨ حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا وكيع وأبو معاوية المعنى واحد قالا حدثنا الأعمش عن ســـليمان بن ميســـرة عن طارق بن شهاب عن رافع.. في هذا السند أرانـــي لا أحتاج لترجمة هؤلاء الأئمة ســـوى ســـليمان وهو ثقة قاله ابن معين. الجـــرح والتعديل ٤-١٤٣ وللحديث شواهد مضت أسانيده معنا.

بكـــر الفياضة تعرف طريقها إلى أحوج الناس إليها، ولم يكن هناك أحوج إلى الرعاية والعطف من هذا الشقي الهائم في البراري والجريمة.

قدم لـــه أبو بكر كرمـــاً وعطفاً وأخلاقاً ســـحرته فجعلته يتعلق بـــه دون غيره.. مـــارس أبو بكر دور الداعيـــة الناضج الناضج بالتربية المحمدية الســـخية. لم يحدثه عن الإســـلام.. جعل أخلاق الإســـلام تتحدث إليه.. تغطيه وتدفئه وتحنو عليه.. جعل أخلاق الإســـلام تقله وتظله، حتى ذهل عن كل شيء سوى الإسلام.. استحضر دفاتره وحسابات عمره، وأحصى ماله وما عليه، فرأى بقلبه الذي ولد اليوم على يد أبي بكر أشـــياء جميلة ورائعة تمر بين يديه وهو غافل عنها.. رأى بذلك القلب كم هي المسافة بينه وبين هؤلاء القوم، الذي يتولى بنفسه إرشادهم إلى دربهم. كانت كالمسافة بين من يحلق في الأجواء وبين من ينحشـــر في الجحور.. رايات ســـوداء، لكن القلوب بيضاء ترفرف في ســـعادة غامرة. لا خمر.. لا ســـباب.. لا بغضاء ولا عداوة.. نظافة وطهارة وانتظام وصلاة، وحب لا مثيل له، أما هو فســـطو وقتل ونهب وغدر وخمر وفر، وحياة أذل من حياة حيوان تطارده كل وحوش الأرض.

تلـــك هي حال رافع الطائي وهو يرافق جيش الإســـلام، حتـــى اقتربوا من جيش المشـــركين، عندها بدأت ملامح الدهشـــة تحدق بعمرو بن العاص، الذي بدأ يتصرف بغرابـــة أثارت الكثير من الجيش، مما حدا بعمر بن الخطاب إلى التوجه نحو عمرو بن العاص ليطالبه بتفسير مقنع، أو ليوقفه عند حد يراه عمر ومن معه رضي الله عنهم.

يقول أحد الصحابة: «بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل، وفيهـــم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينـــوروا نـــاراً، فغضب عمر وهم أن ينال منه [قال عمر لأبي بكـــر: لِمَ لَمْ يَدَعْ عمرو النـــاس أن يوقدوا ناراً؟ ألا ترى إلى هذا الذي منع الناس منافعهم؟ فقال أبو بكر دعه قائماً، ولاه رسول الله ﷺ علينا] فنهاه أبو بكر رضي الله عنه، وأخبره أنه لم يستعمله رســـول اللـــه ﷺ عليك إلا لعلمه بالحرب. فهدأ عنه عمر رضـــي الله عنه»[1] والتزموا

---

(١) ســـنده صحيح رواه ابن إســـحاق ومن طريقه الحاكم ٣-٤٥ عن المنذر بن ثعلبة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه. والزيادة لابن أبي شـــيبة ٦-٥٣٩ حيث توبع ابن إســـحاق تابعه الإمام الثقـــة وكيع والمنذر ثقة انظر التقريب ٥٤٦ وشيخه تابعي ثقة التقريب ٢٧٩.

طاعة الأمير رغم فضل الكثير منهم عليه، وسبقهم إياه في الدخول إلى الإسلام، وكان أبـو بكر رضي الله عنـه أرفع الصحابة منزلة، وأعلم الناس برسـول الله ﷺ، وأعلم النـاس بمراده الذي خفي على كثير منهم. لذا لجأوا إليه ووسـطوه بينهم وبين عمرو ابن العاص، عله يأذن لهم بإشعال النار وسط هذا الزمهرير الذي لا يخففه سوى أكوام من الحطب واللهب، فتوجه أبو بكر ليشـفع لهم عند أميرهم، فكان رد الأمير أشد من ذلك الزمهرير وأقسى.

لقـد «منع الناس أن يوقدوا بليل ناراً، فكلموا أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: كلمه لنا. فأتاه فقال: زملوك إلي، لا يوقد أحد منهم ناراً إلا ألقيته فيها»[1]

إلى هذه المسافة وصلت الصرامة بعمرو بن العاص رضي الله عنه.. لم يأبه لتلك الوسـاطة التي تقدم بها خير الأمة، رغم تقديره الشديد لصاحبها، لكن يبدو أن لدى عمرو من المبررات ما يدفع به إلى هذا المسـتوى من الشـدة، وبالفعل فقد كان العدو على مقربة من جيش المسـلمين الذي تأهب من الغد، وأخذ أوامره وخططه من أميره لينفذهـا كما صدرت. ودارت معركة كانت نهايتها للمؤمنين «فلقوا العدو فهزموهم»[2] وغنم المسلمون ذلك الجيش وهزموه ورأى عمرو ما بشره به رسول الله ﷺ منثوراً بين يديه، وولت فلول الأعداء منهزمة ذليلة «فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم»[3] ونهى جيشـه أن يلاحق تلك الفلول المنهزمة رغم هشاشـتها وسـهولة أخذها، مما جعل الأمر أشد غرابة من منع إشعال النار.

لكن الصحابة لم يحتجوا هذه المرة، واكتفوا بموقف أبي بكر المتعقل والملتزم، كما اكتفى عمرو بهذا الانتصار، ثم أمر أتباعه بالعودة فأطاعوه، والجدير بالانتباه أن عمراً لم يكن أميراً حربياً يجب الالتفاف عليه والوقوف عند أوامره العسكرية فقط، بل هو إمـام الجيش في الصلاة، رغم وجود من يحفظ من القرآن أكثر منه، ورغم وجود من

---

(١) سنده صحيح رواه في الآحاد والمثاني ٢-١٠٣: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي نا أبي ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص وهذا السـند صحيح مر معنا في هذه القصة وسـعيد ثقة ووالده صدوق وهما من رجال الشيخين.

(٢) سنده صحيح وهو جزء من الحديث السابق في الآحاد والمثاني ٢-١٠٣.

(٣) سنده صحيح وهو جزء من الحديث السابق في الآحاد والمثاني ٢-١٠٣.

هــو أفضل منه، ومع ذلك التزم أبو بكر وعمر ومن معهما الصلاة خلفه، مما يؤكد أنه لا مــكان في القيادة الإســلامية للعلمانية النصرانية، فهي قيــادة لا تفرق بين الدين والدنيا.. هما مفهومان متناغمان، ومهمة القائد تكمن بتنقية الدنيا بالدين، وبإشعالها به، حيث لا مكان للرهبانية وتصوفها، ولا للمادية البحتة التي تجعل الإنســان رقماً أو كتلة تحتل حيزاً تافها من هذا الكون.

في ضوء هذا المبدأ كان عمرو بن العاص الأمير يؤم الناس في صلاتهم وجهادهم، وذات ليلــة من تلك الليالي القاتلة البرودة احتلم عمــرو بن العاص، ولما نهض لصلاة الفجــر وجد لزاماً عليه أن يســتحم، لكن الماء بارد والجو أبــرد، وحتى لو قام بعملية تسخين الماء، فالتسخين لن يزيل ضرر الاستحمام وسط هذا الجو الزمهريري القارس. في مثل هذه الأحوال تتداعى الحلول من كل جهات الأرض والسماء.

يقول عمرو: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح»[1] أما ســبب فعله ذلك فبسيط للغاية. إنه يقول: «إني سمعت الله يقول: ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما»[2] والله لا يكلف نفساً إلا ما قدر طاقتها.

يقول ﷺ: « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[3]

وجــد عمرو في القرآن فقهاً مخرجاً لما هو فيــه، أما رافع الطائي فقد وجد في صاحــب الخلال الرائعــة بوابة يهرب خلالهــا مما هو فيه من تشــرد وضياع وحياة وضيعــة، ففي طريق العودة توجه رافع بقلبه إلــى صاحب الخلال.. إلى رفيقه الرائع أبــي بكر الصديق، فكانت كلمات الصديق أجمــل ما تعلمه، وأغلى ما حصل عليه في حياته كلها.

---

(١) ســنده صحيح رواه أبو داود ١-٩٢ واللفظ له وأحمــد ٤-٢٠٣ والحاكم ١-٢٨٥ والبيهقي ١-٢٢ وغيرهم عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير المصري عن عمرو بن العاص. يزيد تابعي ثقة: التقريب ٦٠٠ وشــيخه المصري ثقــة ٤٩٢ وعبد الرحمن تابعي كبير ثقة عالم بالفرائض التقريب ٣٨.

(٢) سنده صحيح رواه أبو داود ١-٩٢ واللفظ له وهو الحديث السابق

(٣) حديث صحيح رواه البخاري ٦-٢٦٥٨.

## كلمات أبي بكر لرافع الطائي

يقول رافع «انطلقت معهم، حتى إذا رجعوا من المكان الذي حاجتهم فيه أتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: يا ذا الخلال توسمتك من بين أصحابك. قال: ولم؟ قال: لتعلمني.

قال: قد اجتهدت. فقلت: أردت أن تخبرني بشيء يسير إذا فعلت كنت معكم ومنكم..؟ قال: تحفظ أصابعك الخمس؟ قلت: نعم.

قال: فذكر شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة الخمس، وتخرج زكاة مالك إن كان عندك، وتحج البيت، وتصوم رمضان. قال: وخير لا تأمرن على اثنين.

فقلت: وهل تكون الإمرة إلا فيكم أهل المدر..؟ قال: لعلها تفشو فتبلغك ومن هو في دونك، إن الله لما بعث نبيه ﷺ دخل الناس في الإسلام، فهم عواذ الله وجيران الله وفي خفرة الله، إن الأمير إذا كان في قوم، فظلموا فلم ينتصر بعضهم من بعض انتقم الله منهم، ولعمر الله إن الرجل منكم يظل ناتياً عضله غضباً لجاره، والله من وراء جاره»[1]

اكتفى رافع بوصية الصديق العظيمة، المزدانة بالتوحيد والعبادة والعدل وإنصاف المظلوم، فاعتنقها وودع أصحابه مؤمناً، بعد أن صاحبهم مشركاً.. ودعهم بغير القلب الذي استقبلهم به، وبقي في أرضه ليبدأ حياة بيضاء بالتوحيد، وغاب الجيش عن ناظريه، لكنه لم يغب عن ذاكرته ووجدانه.

أما جيش ذات السلاسل فسافر كالشوق نحو المدينة، وقد تزامن وصوله مع وصول مسافر حمل معه عجوزاً من بني تميم.. تقيم في بادية يقال لها (الربذة) بين مكة والمدينة، وهي تبحث عن أحد يحملها إلى النبي ﷺ. هذا المسافر هو أحد الصحابة واسمه (الحارث بن حسان) وقد أثارت تساؤله تلك الرايات السوداء، وتلك الاحتفالية بعودة المحاربين منتصرين محملين بالغنائم وأحاديث السفر.

يقول الحارث «خرجت لأشكو (العلاء بن الحضرمي) إلى رسول الله، فمررت بالربذة فإذا عجوز منقطع بها من بني تميم، فقالت: يا عبد الله، إن لي إلى رسول

---

(١) حديث صحيح مر معنا وهو حديث رافع السابق.

الله حاجة، فهل أنت مبلغي إليه..؟ قال: فحملتها فقدمت المدينة»[1] فـ «دخلت المسجد فرأيت النبي ﷺ قائماً على المنبر يخطب، وفلان قائم متقلد السيف فإذا رايات سود تخفق. قلت: ما هذا: قالوا: عمرو بن العاص قدم من جيش ذات السلاسل»[2] «فلما نزل رسول الله من على منبره أتيته فاستأذنت، فأذن لي، فقلت: يا رسول الله، إن بالباب امرأة من بني تميم، وقد سألتني أن أحملها إليك؟ قال: يا بلال، ائذن لها. فدخلت، فلما جلست قال لي رسول الله: هل بينكم وبين تميم شيء؟ قلت: نعم، وكانت لنا الدائرة عليهم، فإن رأيت أن تجعل الدهناء بيننا وبينهم حاجزاً فعلت.

تقول المرأة: فإلى أين يضطر مضطرك يا رسول الله؟

قلت: إن مثلي مثل ما قال الأول: معزى حملت حتفها، وحملتك تكونين على خصماً، أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد.

فقال رسول الله: وما وافد عاد..؟ قلت: على الخبير سقطت، إن عاداً قحطت فبعثت من يستسقي لها، فبعثوا رجالاً فمروا على بكر ابن معاوية، فسقاهم الخمر وتغنتهم الجرادتان شهراً [جاريتان يقال لهما الجرادتان، فخرج إلى جبال مهرة فنادى: إني لم أجئ لمريض فأداويه، ولا لأسير فأفاديه، اللهم اسق عاداً ما كنت مسقيه.

فمرت به سحابات سود فنودي منها: خذها رماداً رمدداً لا تبق من عاد أحداً] ثم فصلوا من عنده، حتى أتوا جبال مهرة فدعوا فجاءت سحابات، وكلما جاءت سحابة قال: اذهبي إلى كذا حتى جاءت سحابة فنودي: خذها رماداً رمدداً، لا تدع من عاد أحداً.

فسمعه وكلمهم حتى جاءهم العذاب [فكانت المرأة تقول لا تكن كوافد عاد]»[3]

بعد ذلك نظر ﷺ في حاجة التميمية وحاجة حسان، ثم قابل الأمير المظفر عمرو ابن العاص بعد أن قام بعض أفراد جيشه بتقديم شكوى ضده لدى النبي ﷺ.

---

(١) حديث حسن رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢-٢٦٠ والطبري في التفسير: ٨-٢٢٠ و٢٢١ من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث. وهذا السند حسن من أجل الإمام عاصم وقد سبق الحديث عن السند عند الحديث عن الرايات السود.

(٢) حديث حسن رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢-٢٦٠ والطبري في التفسير: ٨-٢٢٠ و٢٢١ من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث.. قال: وهذا السند حسن من أجل الإمام عاصم وقد سبق الحديث عن السند عند الحديث عن الرايات السود.

(٣) جزء من الحديث السابق.

## شكوى ضد عمرو بن العاص

تقبلها ﷺ كما قبل تلك الشكوى ضد خالد بن الوليد بعد معركة مؤتة، لكن هذه الشكوى لا تحمل شيئاً من التشفي أو الانتصار للذات.. كانت شكوى ضد الأمير هدفها الصالح العام، وهي مشروعة ومبررة، ولم يشفع انتصار عمرو بن العاص له برفض الدعوى، فقد قام النبي ﷺ باستدعاء عمرو بن العاص للتحقيق معه والنظر في الشكوى، بل الشكاوى المقدمة ضده وتتلخص في ثلاثة أمور:

الأول: منعه للجيش من إيقاد النار والأجواء شديدة البرودة.

الثاني: حرمانه الجيش من غنائم مؤكدة برفضه ملاحقة فلول الأعداء الهاربة من المعركة.

الثالث: صلاته بالجيش وهو جنب دون اغتسال.

يقول عمرو رضي الله عنه: «لما رجعوا إلى رسول الله ﷺ أخبروه بالخبر وشكوا إليه. فقال عمرو: كانوا قليلاً فكرهت أن يوقدوا، فيستبين للعدو قلتهم.

وكرهت أن يتبعوا العدو، وخفت أن يكون لهم مادة فيعطفوا على الناس. فحمد رسول الله ﷺ أمره»[1] وتبين للجميع بعد نظر النبي ﷺ في اختياره لقادة جيشه، ودهاء عمرو العسكري مع مساحة الحرية الشاسعة في طرح المشاكل والشكاوى دون قمع أو مصادرة للرأي الآخر.

بعد ذلك طرح النبي ﷺ سؤالاً حول اجتهاده عندما صلى بأصحابه وهو جنب، واكتفائه بالتيمم فقط..؟

يقول عمرو: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ؟

فقال: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً»[2]

---

(١) حديث صحيح مر معنا قبل قليل.

(٢) حديث صحيح مر معنا قبل قليل.

انتصارات لعمرو بن العاص في الحرب والسلم.. خرج عمرو منها بأشياء كثيرة، لكن نفسه كانت تحدثه بنصر أكثر اتساعاً، وأعمق غوراً.

## عمرو بن العاص يبحث عن مكانه في قلب النبي ﷺ

فقد قام بأعمال قياسية في فترة قصيرة، وهو أمر لم يكن يحلم به، بل هو من المستحيلات لو ظل عمرو قابعاً متخثراً بشركه تحت أخشابه وحجارته المطروحة فوق الكعبة.. ولاه ﷺ على صاحبيه أبي بكر وعمر، وهو أمر لم يكن عمرو يتوقعه، ثم إنه انتصر في المعركة وأبدع في قراراته وأصاب في اجتهاده، فماذا بقي سوى أن ينتصر على من حوله في احتلال الجزء الأكبر من قلب النبي ﷺ.

توجه عمرو بن العاص نحو النبي ﷺ بقلب يحلم بالكثير.. الكثير.

فبعد «بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر.

فعد رجالاً، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم»[1]

عندها أدرك عمرو فضل السابقين عليه، وأدرك أيضاً تثمين النبي ﷺ لقدراته، وأن عليه حسب عدالة هذا النبي وإنصافه أن يبذل الكثير للَّحاق بمن سبقوه بإنجازاتهم العظيمة، وذلك لأن عمْراً ليس رجلاً عادياً يقنع باعتناق الإسلام فقط، دون أن يكون له دور في حياته الجديدة.

عمرو بن العاص ليس كهذا الرجل الذي جاء «إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام؟

فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة.

فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ٤-١٥٨٤.

وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق»[1]

أما عمرو فيبحث عن دور يخدم به هذا الإسلام، ليعوض ذلك الفرق الذي قطعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية المهاجرين والأنصار، وهو ممن ينطبق عليه مفهوم الخيرية التي قدمها ﷺ لبعض الصحابة عندما قالوا «للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: أكرمهم أتقاهم. قالوا: يا نبي الله: ليس عن هذا نسألك.

قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألونني؟

قالوا: نعم. قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»[2] وعمرو وخالد وأمثالهما أصحاب قرار وأدوار بارزة في الجاهلية، فليس من المتوقع أن يخبو وهجهم بعد إسلامهم، ولا أن تذبل حياتهم، لأن الإسلام مأخوذ بتفجير الطاقات واستثمارها، ولكن نحو الأجمل والأسمى. وهل هناك تفجير واستثمار كهذا الذي حصل عليه عمرو وخالد.. هل هناك من قطع بلمح البصر تلك المسافة التي قطعاها أو اعتلى قمة كالتي يقفان عليها، والمستقبل بالإسلام يعد لطاقات عمرو بن العاص الكثير والكثير مما لا يحلم به لو كان منبطحاً تحت أقدام هبل وبقية الأخشاب والأحجار.

هاهو بعد أن ترك تلك الأصنام التي حجمته في دائرة مساحتها لا تتجاوز مساحة دائرة الطواف بصنم.. ها هو يتبختر على مشارف أعظم دولتين في العالم فارس والروم بكل ثقة. هذا بالضبط ما كان الإسلام يعده لأبي جهل وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط لو أسلموا.

هذا ما تنبأ أبو سفيان بحدوثه وهو واقف على بلاط هرقل الروم ينصت إلى زعيم الروم، وهو يتأهب للرحيل عن بلاطه وأرضه وسلطانه وملكه لمحمد البسيط الذي «يخصف نعله ويخيط ثوبه ويرقع دلوه»[3] لمحمد الذي يقول عن نفسه «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد فإنما أنا عبد»[4] لمحمد الذي يأمن عنده الخائف.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ١-٢٥.
(٢) صحيح البخاري ٣-١٢٣٥.
(٣) حديث صحيح مر معنا وهذا لفظ ابن حبان ١٢-٤٩٠.
(٤) صحيح الجامع للإمام الفقيد الألباني رحمه الله.

ذات يوم أُتي له «برجل ترعد فرائصه، فقال له: هون عليك فإنما أنا بن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء»[1]

ليس محمد ﷺ فقط، بل أي مسلم.. عندما يتقدم للعالم بمشروعه نبيه الحضاري.. عندما يضع نفسه خلف مشروعه لا أمامه.. عندها فقط تجد كل شيء يحبه ويخافه.. تجده يبدع يتوهج.. يعيد صياغة العالم بأحرف نقية وجديدة، أما إذا رأيت خللاً في مشروع إسلامي ففتش عمن وضع نفسه أمام ذلك المشروع لا خلفه.. عندها تتهاوى أمام عينيك القيم والمبادئ والثوابت، وينتهي بك المشهد إلى أكوام جميلة، لكن يستحيل معها الإبداع والإقناع.. لم يكن الصحابة يقدمون للعالم أنفسهم وأهواءهم.. كانوا يقدمون كتاب الله وسنة رسوله.. كانوا يضعون أخطاءهم ضمن أرصدتهم لا ضمن أرصدة الإسلام، وهو ما قفز بهم في فترة قياسية إلى حدود فارس والروم، أما قريش.. ذلك الخصم الذي كان يحتقرهم، ويطلق عليهم ألقاباً لا تليق إلا بالمجانين وقطاع الطرق.. قريش اليوم دون طرق.. دون معنويات، فالمعنويات والانتصارات والمساحات لمحمد وأتباع محمد ﷺ، ولم يبق لقريش سوى شرف الحج، وقد تحول إلى موسم يسخر من قريش وأصنامها وعنادها. قريش اليوم مكبلة بعهد مع خصمها محمد، ومحاطة بمناطق يملكها خصمها محمد، ومخنوقة بإنجازات يصنعها خصمها محمد.

فما الذي بقي لقريش سوى مكة الحزينة، والأصنام التي بدأت بالتآكل..؟ وهو في الحقيقة ليس خصماً لها، بل هي التي تصر على خصومته، وهاهو المجد الذي وعدها به يرف على أرض فارس والروم، ولكنه للمؤمنين به، أما هي فقد أعماها رمد التحديق بهبل وبقية الأخشاب والأحجار الجاثمة على أنفاسها وعقولها، كما أعمى سيد اليمامة الذي لم يكتف بالوثنية والشرك، بل أقدم على شيء خطير يؤكد به كرهه لهذا النبي ودينه:

---

(١) سنده صحيح ابن ماجه ٢ - ١١٠١ وغيره عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم عن أبي مسعود. إسماعيل ثقة ثبت. التقريب ١٠٧ وشيخه مخضرم ثقة ٤٥٦.

obeikandl.com

# الفهرس


معركة ثانية على أرض بدر ..... ٥
تحريم الخمر ..... ٦
تحريم الميسر ..... ٨
انتهت عدة زينب بنت جحش ..... ١٠
سبب زواج النبي ﷺ من زينب ..... ١٠
زيد يخطب زينب للنبي ﷺ ..... ١١
زواج زينب فرح وتحول ..... ١٢
الوليمة والهدايا والمعجزات ..... ١٢
لنزول الحجاب قصة ..... ١٤
ففرض الحجاب على المؤمنات جميعاً ..... ١٥
الشبح يتسلل لاغتيال النبي ..... ١٥
متى أهدى عمر قلبه؟ ..... ١٦
دعوني أحدثكم عن الحب ..... ١٧
تعالوا أحدثكم عن الحب والرحمة ..... ١٩
يا هزال لو سترته بثوبك ..... ١٩
المقارنة بين العرض وغيره ..... ٢٢
خطر قادم من قبيلة بني المصطلق ..... ٢٣
غزو بني المصطلق ..... ٢٣
القرعة تقع على عائشة ..... ٢٤
إغارة كالبرق ..... ٢٥
النبي ﷺ يسبق عائشة ..... ٢٧
مهلاً يا أماه ..... ٢٩
عاصفتان ونفاق ..... ٢٩
توزيع الغنائم.. توزيع الرحمة ..... ٢٩
دخلت جويرية فدخلت الرحمة على قومها ..... ٣٠
شهر من المعاناة ..... ٣١




obeikandl.com

متى علمت عائشة بالإفك؟ ..... ٣٢
النبي ﷺ يسأل زينب ..... ٣٥
النبي ﷺ يستشير ويسأل عن حل ..... ٣٦
استدعاء بريرة ..... ٣٦
رسول الله ﷺ يخطب حزناً ..... ٣٧
دعوة مكروب ..... ٤١
براءة عائشة رضي الله عنها ..... ٤٢
إعلان البراءة واستدعاء الجناة ..... ٤٤
موقف أبي بكر الغاضب ..... ٤٥
مشادة بين أبي بكر وعمر ..... ٤٦
عبد الله بن أبي بن سلول، هل كان قواداً؟ ..... ٤٧
قصة ابن عبادة مع القذف ..... ٤٨
ما هي الملاعنة؟ ..... ٥٠
بساتين الحب ..... ٥٢
حزبان في بيت النبوة ..... ٥٢
أم سلمة تهدي للنبي ﷺ وهو عند عائشة ..... ٥٥
عائشة تدعو على نفسها بالموت ..... ٥٦
حب النبي ﷺ لعائشة إلى أي درجة؟ ..... ٥٦
آثار غزوة بني المصطلق ..... ٥٩
غزوة سيف البحر ..... ٦٠
اليهود يجمعون الأحزاب ..... ٦٢
المشروع اليهودي من جديد ..... ٦٤
غطفان تطلب ثمن انسحابها من الأحزاب ..... ٦٥
حفر الخندق ..... ٦٧
طعام رجال الخندق ..... ٦٩
ثلاثة أيام من الجوع والحفر ..... ٦٩
طعام جابر والمعجزة ..... ٧٠



obeikandl.com

معجزة أخرى ..... ٧٢
فتح فارس والروم واليمن ..... ٧٣
وضع النساء والأطفال داخل إحدى الحصون ..... ٧٥
فارس يبحث عن مبارز ..... ٧٦
كلمة السر ..... ٧٧
القتال يشتد ..... ٨٠
عائشة تخاف على سعد بن معاذ ..... ٨٠
هل أصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه؟ ..... ٨٠
أمنية سعد بن معاذ قبل أن يموت ..... ٨١
لقب الزبير ..... ٨٢
خيانة ثالثة لليهود ..... ٨٣
دعاء سيد البشر ..... ٨٥
استجاب الله دعاء نبيه ..... ٨٧
الريح في معسكر الوثنيين ..... ٨٨
الخندق مقبرة لمشركي قريش ..... ٩١
النبي ﷺ يضع سلاحه ..... ٩١
إلى أين سيحمل ﷺ سلاحه؟ ..... ٩١
النبي ﷺ ينطلق إلى بني قريظة ..... ٩٢
النبي ﷺ يحاصرهم بالسيوف والشعر ..... ٩٣
قريظة تبحث عن مخرج ..... ٩٣
أبو لبابة يثير الرعب في نفوس اليهود ..... ٩٤
قريظة تطلب خياراً ثالثاً ..... ٩٤
مَن الذين خرجوا من حصن بني قريظة؟ ..... ٩٥
وصول سعد إلى حصن بني قريظة ..... ٩٧
المرأة الوحيدة التي ستقتل من بني قريظة ..... ٩٨
قصة دينة بنت يعقوب ..... ٩٩
موقف المنافقين مما حدث لقريظة ..... ١٠٠



obeikandl.com

دعاء سعد بعد قريظة ..... ١٠٢
سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري ..... ١٠٤
مات عثمان بن مظعون ..... ١٠٦
لا يحكم لأحد -حتى عثمان- بالجنة ..... ١٠٧
اليهود بعد موت سعد بن معاذ ..... ١١٠
قتل سلام بن أبي الحقيق ..... ١١١
إسلام المغيرة بن شعبة ..... ١١٤
عمرو بن العاص يهرب من مكة ..... ١١٤
أبو رهم وأبو بردة وأبو موسى في الحبشة ..... ١١٧
أم حبيبة تبكي في الحبشة ..... ١١٨
رسالة قبل الموت ..... ١١٨
النجاشي يهدي للنبي ﷺ مهر أم حبيبة ..... ١١٩
النبي ﷺ يريد أداء العمرة ..... ١٢٠
متى كانت عمرة الحديبية؟ ..... ١٢٠
موقف بعض الأعراب من الخروج للعمرة ..... ١٢١
التوقف بذي الحليفة ..... ١٢٣
أمر النبي ﷺ برصد تحركات قريش ..... ١٢٤
مهمتان لأبي قتادة ..... ١٢٤
التوقف في عسفان ووصول الجاسوس ..... ١٢٧
قريش تتحرك لمواجهة النبي ﷺ ..... ١٢٩
مشاورة النبي ﷺ لأصحابه في شن الحرب ..... ١٣٠
كيف صلى النبي ﷺ العصر؟ ..... ١٣١
من عبر الثنية غفر الله له ..... ١٣٣
القصواء تبرك في الحديبية ..... ١٣٤
النبي ﷺ يعرض هدنة - وقريش تريد قتل رسوله ..... ١٣٦
من هؤلاء الفرسان وماذا يريدون؟ ..... ١٣٦
قتل عثمان واستعد عمر ..... ١٣٨

متى كانت البيعة تحت الشجرة؟ ..... ١٣٨
ما هي بيعة سلمة المميزة؟ ..... ١٤٠
لماذا تخلف عثمان عن البيعة؟ ..... ١٤١
قريش تحاصر الحديبية ..... ١٤٢
عروة منبهر بإجلال الصحابة للنبي ﷺ ..... ١٤٥
قريش تبعث مكرز بن حفص ..... ١٤٦
قريش تقاطع محادثة مكرز ..... ١٤٧
أرقاء يهربون من قريش ..... ١٤٧
هل حدثت معجزة ثانية على أرض الحديبية؟ ..... ١٤٨
محاولة اغتيال النبي ﷺ ..... ١٤٩
شروط صلح الحديبية ..... ١٥٠
مأساة أبي جندل ..... ١٥١
لكن الصحابة لم يمتثلوا لأوامره ﷺ ..... ١٥٤
أم سلمة تشير على النبي ﷺ ..... ١٥٤
النبي ﷺ ينحر جمل أبي جهل ..... ١٥٥
أسد يقال له: أبو بصير ..... ١٥٦
بعض المشركين ينقضون المعاهدة ..... ١٥٩
النبي ﷺ يعود بأصحابه إلى المدينة ..... ١٦٠
قصة النوم حتى طلوع الشمس ..... ١٦٠
النبي ﷺ لا يرد على عمر ..... ١٦١
نزول سورة الفتح ..... ١٦١
تحولت الركوة إلى نهر عذب ..... ١٦٢
معجزة في الطعام أيضاً ..... ١٦٣
على جبل بين الحديبية والمدينة ..... ١٦٤
غزوة ذي قرد ..... ١٦٥
سلمة يسابق رجلاً من الأنصار يتحدى الجميع ..... ١٦٨
أبو بصير في المدينة ..... ١٦٩

obeikandl.com

غزو خيبر ..... ١٧١
أبو هريرة في الطريق ..... ١٧٣
علي بن أبي طالب يتخلف في المدينة ..... ١٧٤
القمر الذي هوى في حصن خيبر ..... ١٧٤
على أرض خيبر.. تلكم العروس ..... ١٧٥
الوصول إلى الصهباء ..... ١٧٨
لا أذان في حصون خيبر ..... ١٧٩
أبو بكر يقود أول حملة على حصون خيبر ..... ١٨٠
عمر بن الخطاب يقود الحملة الثانية ..... ١٨٠
ملك خيبر يبحث عن مبارز ..... ١٨١
النبي ﷺ ينادي علياً ..... ١٨٢
لا تلتفت ..... ١٨٤
معجزة لجراح سلمة ..... ١٨٦
ابتسامة النبي ﷺ في وجه عبد الله بن مغفل ..... ١٨٧
بطل آخر إلى النار ..... ١٨٧
بريدة والموت الأحمر ..... ١٨٨
الاستسلام والخيانة ..... ١٩٠
كيف يعطي النبي ﷺ خيبر لليهود؟ ..... ١٩٠
أكل لحوم الحمر الأهلية ..... ١٩١
بدأ عملياً توجه الإسلام نحو العالمية ..... ١٩٢
كرم بنكهة يهودية ..... ١٩٥
القمر يستقر في حجر الفتاة ..... ١٩٨
احترام السبايا ..... ٢٠٠
حكم جديد لزواج المتعة ..... ٢٠٠
البيع والشراء على أرض خيبر ..... ٢٠١
ماذا عن النساء.. ..... ٢٠٣
صحابي يعود إلى قريش ..... ٢٠٤



obeikandl.com

الرحيل.. وقصة النوم عن الصلاة ..... ٢٠٦
قصة النوم والعطش والمعجزات ..... ٢٠٦
نحو وادي القرى ..... ٢٠٨
زفاف صفية ..... ٢١٠
يسأل عن الكدمة حول عين حبيبته ..... ٢١٢
ما الذي حدث لصفية على أبواب المدينة؟ ..... ٢١٤
المدينة تعد مفاجأة للنبي ﷺ ..... ٢١٥
مهاجرة تشكو عمر ..... ٢١٦
المهاجرون يردون الجميل بالوفاء ..... ٢١٩
بث السرايا من جديد ..... ٢٢٠
غزوة فزارة ..... ٢٢١
سرية من أربعين رجلاً وامرأة تقود قومها إلى الإسلام ..... ٢٢٢
درس في حدود طاعة الأمراء ..... ٢٢٥
سرية رأس عرانة ..... ٢٢٦
سرايا تحدد صلاحيات المجاهد المسلم ..... ٢٢٩
الأرض تلفظ جسد أحد المجاهدين ..... ٢٣٠
في سرية (الحرقات) أسامة يقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله ..... ٢٣١
يتمنون اغتيال المنافقين ..... ٢٣٣
سرية الاثني عشر شهيداً ..... ٢٣٤
غزوة ذات الرقاع الثانية ..... ٢٣٥
غزوة نجد ..... ٢٣٥
عمرة القضاء ..... ٢٣٧
الزواج بميمونة ..... ٢٣٩
النبي ﷺ يقدم عرضاً لقريش ..... ٢٤٠
خالد بن الوليد وعمرو بن العاص يهاجران ..... ٢٤١
مات النجاشي رحمه الله ورضي عنه ..... ٢٤٤
كرامة على قبر النجاشي ..... ٢٤٦



obeikandl.com

مراسلة الملوك والجبابرة ..... ٢٤٧
النبي عليه السلام يأمر بصنع خاتم ..... ٢٤٧
رد كسرى الفرس ..... ٢٤٨
رسالة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ..... ٢٤٨
أزمة قريش ..... ٢٥٠
رسالة النبي ﷺ إلى هرقل الروم ..... ٢٥٠
إرسال عبد الله بن رواحة إلى خيبر ..... ٢٥٥
سحر النبي ﷺ ..... ٢٥٥
مؤتة ..... ٢٥٧
ما القرار في مثل حال مؤتة؟ ..... ٢٥٩
نصارى العرب يقاتلون مع الروم ..... ٢٦٠
صنيع اليمني ..... ٢٦١
جعفر ..... ٢٦١
ابن رواحة والشعر والجنة ..... ٢٦٢
أين خالد بن الوليد..؟ ..... ٢٦٤
خالد بن الوليد واستراحة المحارب ..... ٢٦٤
خالد بن الوليد سيف من سيوف الله ..... ٢٦٥
ما الذي أغضب عائشة في ذلك اليوم الحزين؟ ..... ٢٦٦
بين الصحابي اليمني وخالد بن الوليد ..... ٢٧١
غزوة ذات السلاسل ..... ٢٧٣
أبو بكر الصديق يتمكن من سرقة رافع ..... ٢٧٦
كلمات أبي بكر لرافع الطائي ..... ٢٨٠
شكوى ضد عمرو بن العاص ..... ٢٨٢
عمرو بن العاص يبحث عن مكانه في قلب النبي ﷺ ..... ٢٨٣
الفهرس ..... ٢٨٦

obeikandl.com